

روسيا امس واليوم^(١)

سألتكم عليكم اليوم عن روسيا متتبش من مؤلف جليل ظهر حديثاً بقلم الخطيب الاجتماعي الشهير الدكتور شروذ أدي صاحب الخطاب الرنانة في ملتقى الكورسال بالقاهرة كتبه بعد زيارته لصر اخيراً وما يبع ذلك من سياحة الطوبولة في اطراف المعمورة قال

قبل أن نصوّر لكم روسيا تلك الدولة المغلوبة على ايديها الجديرة بكل عطف وحنان أضع امامكم بعض الارقام الجغرافية الناطقة بما هي عليه من الصخامة والاتساع. كان عدد سكانها في بدء الحرب العظيم تسع عدد سكان العالم ومساحتها سدس مساحة اليابسة كلها . وتوأزي كلاً من فونسا والمانيا وأليابان ٤٠ مرة . ولو خصَّ الميل الرابع فيها من السكان ما خصَّ بلجيكاً بلغ عدد سكانها أكثر من ثلاثة آلاف مليون نفس او خمسة سكان العالم باجمعه

ما لثبت الحرب العظيم سنة ١٩١٤ كان الشعب الروسي يجهل المفاوضات السرية التي دارت بين آل هوهزلن وهيربرج ورومانوف وبتش تحت كاهل الظلم والاستبداد . فاندفع الجنود كالسيل الجارف الى هوة الحرب . وكان القواد يتحيزون للامان اعدائهم ثفانوا جنودهم وتمددوا اخفاء الذخيرة والأسلحة عنهم وساقوهم امامهم كالمواثي وذبحوهم بين الوعود والبطائح ذرع الافتخار . ولا عجب اذا فقدت روسيا في الحرب من رجالها ما لم تفقده دولة اخرى . فقد بلغ عدد جنودها ١٣ مليوناً وهو أكبر جيش دُوق في بطون التوارع مات منه ثلاثة ملايين وأسر الامان والثوابون مليونين حُجزوا في سجونهم وذاقوا صنوف العذل والعناد ورجع منهم الباقيون على قيد الحياة هياكل بالية تعنى أكثرهم غيبة في الطريق وظلُّ الباقيون بعشرات ملايين سكراث الموت تحت انياب الامراض . ففتكت الاوبئة بالكلن ودبَّ الجموع وسرت الفوضى وقادت الثورة وهجم العدو من الخارج وتصاعدت خيانة القراد من الداخل . فنفت القنابل وعدمت الاسلحة والذخائر . وظلَّ الجنود يكافحون العدو ضرباً بالعصي ورشقاً بالحجارة حتى انحلت

(١) خطبة القىت في الجلسه الامريكية بالقاهرة في ٢٠ اكتوبر الماضي

فواه وضاعت أيامهم وسقطت الحكومة من صيونهم . فقامت روسيا الجائعة على
بكرة أيها هاشمة على وجهها مارخة مستينة تماً للحرب . السلام السلام .
الطعم الطعام

وخلت الحكومة امبراطوريةً عن العائر من موسس سنة ١٩١٧ وفي
اليوم التالي اصدر القيسار امره بتقطيل مجلس الدوما فرفض الاعضاء الارفاض
واسفرت النتيجة في نهاية الامر أن انظر القيسار الى التوفيق على ذلك
التنازل عن العرش

٥٥

تعزى الثورة في روسيا الى انتشار البادي الاشتراكية وفلسفة كارل
ماركس الاشتراكي الالناني . فقبض البلشفيون على زمام المسؤولية بأي جهان
العالى واستلموا مقابيد الاور وأخذوا على عاتقهم نشر السلام وایجاد الطعام .
وهذا قاتل الشعب المنشودة . وجندوا عمال المصانع وأطلقوا عليهم اسم الجيش
الاحمر . ونشروا خططهم على رئيس الالا وأهم ما فيها توزيع الاراضي والاملاك
على انسان وتليم مقاليد المعانة للعمال واعطائهم انفوذ للسوفيت

وكان زعيم البلشفيين يقولانين معزز تعالمى كارل ماركس الاشتراكى .
وانحصر عه في القضاء على العلائق الاجتماعية والاحزاب السياسية واصحاب
رؤس الاموال والاستبداد القىصرى . فاستولى على بتروغراد في ٧ نوفمبر وأعلن
البلشفيون انهم حكومة روسيا . وتنشألت الوزارة وعلى رأسها لينين . ومرة عن ما
انتزعوا الاملاك من اربابها وستحيى للعمال الذين لا مأوى لهم . ووضعت الحكومة
يدها على العامل وسلتها للماطلين . وحررت على الافراد تلك العقار

أخذتهم روسيا في الأفول بعد تطرق الفساد الى الجيش . لأن السلطة
انتقلت من ايدي اقواد الى الجنود . وساد الخلل وتفشى الفوضى فتقهقرت
الجغفل الى غاليسيا . وترجمت الجيوش كالذئاب اعاوية كتلها واحدة من
الاوپاش والسوق يصرخون الطیز الطیز . وفي ٢ ديسمبر سنة ١٩١٧ انظر
البلشفيون ان يوقعوا مع المانيا معاهدة الذل والانكسار في Brest-Litovsk
ولم تنطوا اصفحة الاخيرة من سنة ١٩١٧ حتى رجمت روسيا مجرر اذیال

النخبة فاستقلت فنلندا وأخذت سيبيريا واتقوقاز وتركستان وبولندا والتركمانية بحكومة مستقلة . وأصبح كلُّ يصبح في دائرة هنا نحن أحرار . فشق الجنود عصا العباءة لأنهم أحرار . وعد العمال إلى البطالة لأنهم أحرار . وزالت الملكية أكبر مما لاحرية . وقربت روؤس الاموال جبًا بحرية . وأوصدت البنوك لاحرية . ووقف دولاب الاعمال وأخذ تبادل الملح يحمل محل التجارة وأصبحت التقاد الرقيقة عديمة القيمة . ومن الناس كالفراغ في الطرقات والذارع لأنهم أصبحوا أحرار أما وقد عشل لنا ما وصلت إليه روسيا من الشقاء بعد سيادة البلشفية عليها فوجب أن ندرك كنهها لأن فنورها لا ينحصر في روسيا بل هي خطوة عام على العالم أجمع . لم تكن الثورة الروسية حدثًا فجائيًّا بل نتيجة لازمة لانفجار أمة طال عليها الضفت الف سنة تحت ذير الحكم الاستبدادي . وما كاد يرفع كابوس الظلم والتمسُّك حتى هرع الناس إلى الاشتراكية فواجهوا عليهم مجدون بين أحضانها العدل والأنصاف . كان ستون في كل مائة من الشعب الروسي يلبسون الوث من الشياطين . ويهتزون بسخيف الطعام ويعيشون في اخصاص حقيقة تماضها الباهم . كان السود الأعظم من السكان عملاً بؤمناء وثلاثة أرباعهم أميين . وقال أحد الوزراء أن سبب الثورة قيسر خامل وقبحه مكرورة وجيش دب في الخيانة ووزراء مرتكبون وقذلة ظلمة ونواب سفلة ومسافة زحزح السار فيها عن اعدام الاشتراكيين شنتها وفهي مجلس الدوما وزوج النواب في أعماق السجون وتعذيب اليهود وتنبيس فنلندا ونصب المشانق في مدن فارس . هكذا كانت الثورة انفجاراً فجاشيا هائلًا لم الرجل طال عليه الإغلاق وأمهات استثنائية مريعة خارجة من افتدة قضى عليها الجوع والمرى والاستبداد وأنظمَ المحبة والوحشية

ولكي تفهم الشذوذة جيداً يجب أن تفرق بين منصرين مهدين ، الأول عنصر السوأيت وهو النظام الديعوي راطي بحالات الحال والثاني عنصر البلشفية وهي زمام الاشتراكية المطارة الذين تقليروا على السوفيت واستخدموه هم آلة لتنفيذ خططهم . فالسوفيت يتكونون من طوائف العمال والجنود والصناع والعلميين وارباب المهن ذوي المبادئ الديعوية الذين لما أواسنة ١٩٠٧ إلى الطبقة المتوسطة فلم يجدوا فيها منفذًا . فلا غرو اذا رأيناهم يلقون بالتهم على الطبقة السفل من العمال الذين

يبلغون ٨٠ في المائة من السكان وكونوا جمهورية اソوفيت التي تتبعها مبادئها في الامور الآتية

(١) جمل روسيا حكومة جمهورية السوفيت (٢) معن تقسيم الشعب الى طبقات واستخدام بعضهم البعض الآخر (٣) جمل المغارملكا عاما لالمة كذلك الغابات والمعادن والثروة عموما (٤) استخدام العامل والسكان الحديدية ووسائل النقل والانتاج جميعها لصالحة العمال (٥) تحويل البنك الى الحكومة تحريرا للسكان من تصرف ارباب الاموال (٦) تحرير الملدين من العمال الارقام في آسيا والمستعمرات (٧) فصل الكتبة عن الحكومة والمدارس عن الكنائس (٨) حرية الاجتماع ونشر التعليم الجانبي والساواة بين الجميع من غير التفات الى الدين والجنس وحماية الاقليات

ان جمهورية السوفيت جديرة بالثناء . قد توجه اليها انتقادات مرّة لكن ليس من الدليل ان نذكر ان زعاء السوفيت قموا بامتحان نظرياتهم الاشتراكية في اسوأ الاحوال . لقد شيدوا جمهورية على انفاس روسيا وهي تنفس جواعه وتبكي أساً . وعلوا جيشاً منكث الشري خاص العطاؤن . لقد خلف لهم اسلامهم خمسة اجيال ذاتها صنوف اندل . واربع سنوات في الحرب العظيم تجتهد فيها الدم الروسي وأماتت حياتها الاقتصادية الحمراء البحري وفُسّلها عن مييريا ورغم ذلك كله قامت حكومة السوفيت سنتين كاملتين

تنقل الان من حكومة السوفيت التي تناولت روسيا كلها الى البشفيه او الحرب الاشتراكي الصبر الطرف الهبي على حكمه السوفيت . يتسائل الكثيرون . هي البشفيه - البشفيه كما عرفها لذين زفيمها هي حكم العمال المطلق . هي الخضراء اثام العمال . هي الغرب بايتو من حديد على ارباب الاموال . هي اشتراكية فرسوية منطوفة عامة . البشفيه تعمل على قلب الظل الذي يضع القباضة والامراء في الرأس ثم يتدرج الى الطامة الوسطى من التجار ثم يضع الطامة السفل من العمال الى الاسفل . البشفيه تحطب صاححة العمال قبل الدعوة فاطبية . وتنهي الثورة فوق انطوار . وتدويبة فرق الوطنية . والتغريب فوق التشيهيد والدم دوق ابناء . ولا جعلت الثورة غرّق روسيا شرّ مترقب سقطت فريسة

لاؤشك التعرفيين فانقاد انهم الشعب انتياداً امى وركب من السوقه من الاخطار وانشطط

وقد سرّج لذين ذعيمهم قائلآً كأن ١٥٠ انفأ من الاعيان كانوا يسيطرؤن على ١٣٠ مليوناً من الشعب الروسي تحت الحكم القصيري كذلك يود مثنا الف من البشريين ان يسيطرؤا على ذلك الشعب . وقسم البشريون السكان في بادئه الامر الى اربع طبقات مرتبة حسب اعماها (١) طبقة العمال اليهوديين (٢) العمال الكتبة (٣) أصحاب العامل (٤) ارباب المقاور والاموال والاغنياء . واسدوا بطاقة لتوزيع الطعام ولا كان اقل من ان يكن الطبقة الاولى التي التروافت الاخرى وحرمت التجاره وحصرت موارد الطعام في مخازن البلدية ووزعت الاطعمة على الجنود اولاً والعمال ثانياً وترك اطياف للطبقتين الاخريين . فاما الموت جوعاً او الهجرة او الانساج في سلك العمال

وينقسم الروس الان حقيقة الى ثلاث طوائف : (١) الرجميون وهم اهل الطبقة الراقية من الاعيان وكبار المرؤفين ويبلغ عددهم عشر السكان تقريباً . هؤلاء يتوقفون الى رجوع حكم القياصرة حتى يعود اليهم العزّ القديم . ويعتقدون ان انفلاج غير جدير بالتعليم (٢) البشريون وهم اقل من عشر السكان (٣) وبين هاتين الطبقتين طائفة المتدلين الذي يطلبون الحياة الدليوقراطية التي سارت بها ارق الامم في عصرنا الحاضر

وقد وصلت روسيا الان الى حالة يرى لها . فقد ارتفعت الاعان الى جذر لا يدركه العقل ومات جيش عروم من ابناء العاملين . وانتشرت الامراض المميتة وهدمت المنازل واستعمل خشبها وقروداً . وبلغ الجموع حدّه حتى فيل انهم يستخرجون جثث الموتى ويقطعنون عظامها ويجهرونها بدل الخنزير

وتعد قرائن الاحوال على ان روسيا لم تحيط الان تطوراً ثالثاً . فقد كانت الثورة الاولى سياسية واتجهت بخلع القصيري . واثانية بشارية وغرسها غزوين شمل ارباب الاموال والتجار . لذا الثورة الثالثة فستكون سياسية اجتماعية بما حتى تسير على مبدأ الدليوقراطية وهي وحدتها كفيلة بتحاولها . أما كل من مبدأ القصيرية المتبدة والبشرية المخرفة فهي على الازرة وحب النذات والتفريح بين

طائفه وآخرى وثالثه الفشل . واندیعوراقطية وحدتها هي التي يجب ان تسود وكل مبدأ سواها مفضي عليه

كلمة ختامية

ألا يجدر بنا أن نعطف على روسيا . أليس هي نقطة الاتصال بين المشرق والمغرب . هي أقصى الممالك غرباً بين الأمم الشرقية واقصى البلدان شرقاً بين الأمم الغربية . لا زالت أندلسنا تحقق رجزه في روسيا وما زالت آمنانا وطيدة فيها . أليس لنا آمال في الأستانة . أليس لنا آمال في الله . أدن لم نقطع الرحال والأمال في روسيا

ان شعباً عظيمها يتطلب ألف سنة كاملة على جهود الام لا تضيع الامة هدراً .
ان الإنسانية لا ترثى ان ترى سلس الكورة الأرضية يصعب سكانه دوماً خيبة الفوضى والخراب . ان السكرم والاخاء الانساني يحتمان علينا مدّيد المعرفة الى روسيا الشقيقة الدائمة في الآتون النافعة على اللطى اليقطة في اللهب الحية الميتة .
ان روسيا البلشفية خططه يهدى كيان العالم وبذرة جرائم يخنثى انتشارها بين امم الارض . ان روسيا وهي سالة هادنة رائعة في بمحبوحة العزيركة على الارض كالها . من لنا ببطلان روسيا الاماجاد امثال بطرس الاكبر الذي قتل ابنه يديه خافة ان يدنس عرشه بهذه وغير روسيا الى مراثع التهلكة . نعم لو بُعث اولئك الابطال اليوم لرجموا الى اجدائهم منغوردين

يا هذا من خيبة كبرى تقدّمها روسيا . ولكن صبراً جيلاً . ظلّ تذهب الضحية بلا نصر . ألم يزل الله في السماء اذا ماذا ثوت روسيا وتروح الضحية هناك متشرداً وحبل ارحنه بين الارض وانسماء لن يقطعه ما يقوّت الارض ودامست السماء فلتقطوا خريطة اوروبا مرة اخرى . ولكن ليكن لنا روسيا جديدة . واوروبا جديدة . ودنيا جديدة

امير بقطر

مصر

سكوتير الجامعه الامريكيه